

تاريخ القبول: 2026/04/16

تاريخ الإرسال: 2025/09/02

تاريخ النشر: 2026/05/23

حجاج الإيهام في التراث العربي

Fallacious Argumentation in Arab Heritage

د. عمار قلالة¹

المركز الجامعي سي الحواس - بركة (الجزائر)، omar.kelala@cu-barika.dz

الملخص:

يهدف البحث إلى استعراض نماذج من حجاج الإيهام في التراث العربي؛ واستنباط أساليبه المستعملة لاستمالت القلوب واستدراج العقول إلى تصديقه، بتصويرها حججا صحيحة، وبراهين صادقة.

ومن نتائج البحث أن أساليب حجاج الإيهام كثيرة متنوعة، منها ما يرجع إلى اللفظ وأغلبه تجميل وتحسين، ومنها ما يرجع إلى المعنى وأكثره تلبيس وقياس باطل.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الإيهام، التراث العربي

Abstract:

This research aims to examine instances of fallacious argumentation in classical Arabic heritage. It seeks to deduce the rhetorical strategies employed to persuade audiences and mislead intellects into accepting these arguments as valid proofs and sound evidence.

The study concludes that the methods of fallacious argumentation are numerous and diverse. Some are rooted in linguistic techniques, primarily through aesthetic embellishment and refinement, while others are based on semantic manipulation, often involving sophistry and flawed reasoning.

Keywords: Argumentation; Fallacy; Classical Arabic heritage.

المؤلف المرسل: د. عمار قلالة، الإيميل: OMAR.KELALA@CU-BARIKA.DZ

1. مقدمة:

يصادفنا في التراث العربي نصوص كثيرة يحاجج أصحابها بالإيهام في أشياء تخالف ما عليه كل الناس أو جلّهم، متوسلين بما أوتوا من مقدرة لغوية وأساليب تعبيرية تتيح لهم قلب الحقائق بتصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق، وتحسين قبيح الصفات وتقبيح حسننها ونحو ذلك، والإشكالية ههنا: فيم يتجلى حجاج الإيهام في التراث العربي؟ وما أساليبه؟

نفترض أن حجاج الإيهام لا يحسنه إلا أرباب البيان ممن درب على الجدل والمناظرة ومَرَن على إرخاء عنان اللسان في دروب القول وضروب الكلام، مستعملا أساليب لغوية ومنطقية مختلفة، كتجميل العبارة وكتمان الحجة المضادة.

والهدف من البحث تحليل هذا النوع من الحجاج من خلال النماذج المختارة، واستخلاص أساليبه، من أجل كشف الوهم فيه والتغليط، من أجل ميز الحق من الباطل. والمنهجية المعتمدة هي إيراد النموذج المختار، ثم تحليله عبارة عبارة، واستخلاص مكنن الإيهام فيه.

2. تمهيد:

للغة العرب سحر يسلب اللب، وحسن يجلب الحب، ولألفاظها رشاقة وظرافة، ولمعانيها خفة ولطافة، تتخذ سبيلها في القلوب سرياً، ويقضى بها أرباب البيان أرباباً، فيُصَوِّرون الأشياء إن شاءوا على غير صورها، ويكسون المذموم إن أرادوا من كريم دررها. تلك هبة الحكيم القدير لمن هو في البلغاء شهير، ومنحة القوي المتين لمن هو في الشعراء مكين.

ومدح الإبانة جاء في القرآن والسنة والأخبار والأشعار، وجاء فيها ذم خلافها أيضاً. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن من البيان لسحراً»¹. والبيان نوعان: نوع

يُكشَفُ به محبوب الضمائر، ويُهَنِّكُ به مستور السرائر. ونوع يحسن فيه الكلام لتميل القلوب إليه، وهذا هو المشبه بالسحر؛ فالسحر صرف الشيء عن حقيقته². ومن أُعطي زُخْرُفًا في القول، وزبرجا في الكلام ولم يك متورعا، استطاع اقتطاع حق غيره. ولذلك قال (عليه الصلاة والسلام): «إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيتُ له بحق أخيه شيئا بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها»³. ولما كان البيان بمكان عليّ، فإن من حُرِمَه محروم عي. قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُثْنِ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف/18]. جاء في تفسير ابن كثير: «وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عيَّة»⁴.

قال الشيخ أبو إسحاق ظهير الدين [البسيط]⁵:

في زخرف القول تزيين لباطله ... والحق قد يعتريه بعض تغيير
تقول: هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن تعب قلت: ذا قيء الزنابير
مدحاً وذما وما جاوزت حدهما ... سحر البيان يُري الظلماء في النور
وقال ابن الرومي [الوافر]⁶:

غموض الحق حين تذب عنه يقلل ناصر الحق المحق
يضل عن الدقيق عقول قوم ... فتحكم للمجلّ على المدق

3. تنظير:

روى الراغب الأصفهاني قول المبرد: «سأل رجل فقيهاً فقال: علمني الخصومة. فقال: أنا مستعجل فخذ جملتها: اجد ما عليك، وادع ما ليس لك، واستشهد بشهود غيب، وأخر اليمين إلى أن تنتظر فيها»⁷.

يلقي الفقيه فيما يليقه جملة من حجج الإيهام والجدل بالباطل، التي تعين من يريد غلبة خصمه والظهور على محاوره بأي وسيلة تيسرت، أو إظهار مقدار ما أوتي من بلاغة وبيان وجودة فكر وحدة ذهن تسعفه باستخراج دقائق المعاني وخفياتها، وغامض الأمارات وخبيئاتها، تعريفا باقتداره على التصوير، وامتلاكه ناصية البيان⁸.

وهو إذ يسرد تلك الحجج إجمالاً، يعدد قليلاً من كثير ونزراً من غزير، مبنوث في تأليف الأقدمين، المشحونة بنصوص استعملت فيها تلك الحجج وغيرها معها. وقد صنف بعضهم في هذا الفن كأبي عثمان الجاحظ في "المحاسن والأضداد" المنسوب إليه، وأبي منصور الثعالبي في كتابه "تحسين القبيح وتقييح الحسن".

وهذا النوع يرتقي فيه الحجاج إلى أعلى درجاته، وتستغفر جميع آلاته، وتستدعي كل أدواته؛ لأنه منوط بالمجادلة في نفي ما أطبق الناس على إثباته، وإثبات ما أجمع العقلاء على نفيه، حيث يحشد المجادل - ما استطاع - أوهاماً في صور براهين يخلع بها على القبايح حسناً، وعلى المحاسن قبحاً.

وممن برز في هذه الصنعة المعتزلة؛ ذوو اليد الطولى في هذا المضمار، والقدم الراسخة في هذا المجال، فهم أهل العقل كما يرون، وبذلك يفخرون. قال جاحظهم: «ولعمري إن العيون لتخطئ، وإن الحواس لتكذب، وما الحكم القاطع إلا للذهن وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل»⁹. وقال: «فلا تذهب إلى ما ترك العين واذهب إلى ما يريك العقل»¹⁰. وقال كذلك: «والعقل هو الحجة»¹¹. وقد سار على دريهم، ووطئ مواطن أقدامهم الثعالبي في بعض تأليفه.

والاحتجاج لحقّ يختلف عن الاحتجاج لباطل؛ لأن الأول ينهض على براهين ساطعات وأدلة قاطعات، والآخر يقوم على أوهام وشبهات. وهو الأصعب إلا على قوم بينهم وبين اللغة أسباب وعرى وثقى، سبقت أوصافهم.

4. تطبيق:

نحاول في هذه النماذج الآتية استنباطاً لأساليب حجاج الإيهام التي يستعان بها على تحسين ما تعورف على قبحه، مع كشف مواطن الوهم اللغوي والمنطقي فيها.

1.4. تحسين الكذب:

قال ابن التوأم: «الكذب في مواطنه كالصدق في مواضعه [...] ومعلوم أن من أجل الأمور في الدنيا الحرب والصلح، ولا بد فيهما من الكذب. أما الحرب فهي خدعة

كما قال (عليه الصلاة والسلام)، وأما إصلاح ذات البين فالكذب فيه محمود؛ لما فيه من الإصلاح، وقد رخص فيه السلف. ولا خلاف في أن الشعر ديوان العرب ولسان الزمان، وأحسنه أكذبه [...] وقد جاء في المثل (أظرف من كذوب)¹².

1.1.4. تحليل:

قوله: (الصدق في مواطنه كالكذب في مواضعه) فيه تلويح بأن لا تفاضل بينهما من جهة أن لكل منهما موضعه اللائق به، فهما بهذا الاعتبار سواء، وفيه إغفال متعمد عن شرح هذه المواضع وبيانها، وسكوت مقصود عن دواعيها وبواعثها، وهو ما عبر عنه الفقيه أنفاً بقوله: (اجد ما عليك). والحق أن المواضع التي يجوز فيها الكذب لا تكاد تذكر قلة، وهو رخصة وليس عزيمة، ولا يُجَنَحُ له إلا اضطراراً. ولكن المحاجج بسط استواءهما في إجازة الشرع والعرف لهما، أحدهما على الأصل، والآخر على الاستثناء، ساكتاً عن بيان هذه المواطن بيانا صريحا غير موهم. ومثله كمثل الذي قال: إن الماء كالخمر، فكلاهما يبطل الصدى ويذهب الظمأ، وهذا تضليل في القياس؛ لأن ما يُلتَجَأُ إليه اضطراراً لا يُسَوَّى بالمباح، فالضرورات تبيح المحظورات، ورغم ذلك لا يقول عاقل: إن المباح والمحظور سيان، فإن ما اتفقا باعتبار واختلافاً باعتبارات لا يستويان منزلة، وإلا فإن العالم والجاهل سواء باعتبار أن كليهما إنسان، والشجر والحجر سواء باعتبارهما جمادين، وما هذا بحق ولكنه إيهام.

وقوله: (ومعلوم أن من أجل الأمور في الدنيا الحرب والصلح) كلام مستقيم حسن، وهو معلوم حقا، إلا أن استدلاله به على أن الكذب فيما دونهما جائز من باب أولى، باطل؛ إذ لا يلزم من كون الأعلى جائزا جواز الأدنى بمقتضى مفهوم الموافقة، أو ما يسميه الأصوليون بفحوى الخطاب، وهو: «أن ينص على الأعلى وبنيه على الأدنى»¹³. فلمفهوم المخالفة شروط لا بد منها حتى يفيد فائدته، والإيهام ههنا أن

الشارع جوز الكذب في حالات قليلة لغايات نبيلة، فليس بحتمي لزوم الإباحة فيما هو دونهما، هذا فوق ورود النص بتحريمه في غير مصلحة مؤكدة. وقوله: (ولا بد فيهما من الكذب) تضليل كذلك؛ إذ الكذب فيهما على الإباحة لا الوجوب، ومن وجد عنه مندوحة فذلك أفضل. والمحتاج عده واجبا، حيث دس هذه العبارة الخاطئة في دَرْج كلامه مع مسلمين، لئلا يُفطن لها، لضالة حجمها وقلة منطوقها وتقارب طرفيها، وهي فوق ذلك تؤدي غرضها في الجدل، فإنه لم يقل بوجوب محرم، فيُستكر قوله؛ لأن إنكار العقول جعل الشيء نقيضه سريعاً، والتنبه له يسير. ولكنه جعل الجائز واجبا على جهة الإيهام، لأنهما متقاربان؛ فكلاهما من قبيل المباح.

وقوله: (أما الحرب فهي خدعة كما قال عليه الصلاة والسلام، وأما إصلاح ذات البين فالكذب فيه محمود، لما فيه من الصلاح، وقد رخص فيه السلف) قول صائب؛ بسط فيه ما أجمله، والتفصيل بعد الإجمال ضرب من الحاج؛ لأن المحتاج يُلقى إليه كلام مجمل قد ينكره بعض الإنكار، فلا يزال يقلّب الأمر وينظر فيه حتى يَفْجَأُهُ التفصيل، فيتمكن الوهم من قلبه وتستحيل الشبهة حجة في نفسه. فإن كان جاهلا بالنصوص كان وقع الشبهة عليه أشدّ وأكد. وهو استدلال بقول المعصوم؛ إذ الوحيان لا يأتیان إلا بحق، فكلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فالمعترض عليهما إذن معترض على الدين، وهذا ما يتقيه المسلم ويتحاشاه.

وأما ترخيص السلف له إن أريد به إصلاح، فقول مجمل عدل المجادل عن تفصيله لشياعه واشتهاره؛ لذلك لم يحتج إلى بسط الحديث فيه. وفي الحجة القوية المعلومة الموجزة تأثير كتأثير المطولة المفصلة.

وقوله: (ولا خلاف في أن الشعر ديوان العرب ولسان الزمان وأحسنه أكذبه) صدره بكلمة: (ولا خلاف)، التي هي رديفة الإجماع والإطباق، وهو - وإن كان محقاً - فإنه يصرح بأن وصف الشعر بديوان العرب ولسان الزمان، مما لا يجوز إنكاره إلا ممن شذ، وفيه استدلال على الأدنى بالأعلى. والإيهام هنا أن الكذب المذكور في الشعر ليس محل الجدل، إذ لا يعدو الاستعارة والتشبيه وما إليهما، والكذب المجادل فيه هو الكذب بمعناه الحقيقي لا الفني، ولكنه أقحم هذا في هذا، فاشتبهت الألفاظ ووقع الإيهام، وهو ما عبّر عنه الفقيه بقوله: (ادّع ما ليس لك).

ثم يعقب المحاجج مجتزئاً: (وأحسنه أكذبه)، وهو يعطفه المختلف فيه على المجمع عليه يومئ إلى أن حكم الآخر كحكم الأول، ولعل هذا داخل فيما يصطلح عليه الأصوليون "بدلالة الاقتران"، وهي دليل شرعي لا يقوم بنفسه على أصح الأقوال، كما يُستعمل في عرف الكلام أسلوباً حجاجياً موهماً.

وقوله: (وقد جاء في المثل "أظرف من كذوب") يوهم بحسن الكذب وأنه مظنة الظرافة، مع أنه مثلٌ مختلق في ظننا، فقد خلت منه كتب الأمثال. وإذا سلمنا بأنه مثلٌ سائر فإنه يدخل في قول الفقيه: (واستشهد بشهود غيب). والظاهر أن المقصود بالكذوب هنا من يروي أحاديث الخرافات والأباطيل المعلوم كذبها على جهة التندر والتزلف، وهذا يعارض صريح النصوص في النهي عن الكذب.

والذي يظهر أن مكنى الحجة في المثل، أنه قول قد ارتضته الأمة وتلقته بالقبول، فأسمى دياراً على الألسن، جارياً في المكاتبات، مما لا يتاح إلا لما صدقه الواقع وشهد به، فحجته أشبه ما تكون بحجية الإجماع. والصواب أن ليس في المثل حجة؛ فما أكثر الأمثال الباطلة.

2.4. تحسين العمى:

«قيل: لما عمى ابن عباس (رضي الله عنه) قال [البسيط]:

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نورٌ
 قلبي ذكي وعقلي غير ذي دَخَل ... وفي فمي مِقُول كالسيف مأثور
 [...] قال الجاحظ: العُمَيَّان أحفظ وأذكى، وأذهانهما أقوى وأصفى؛ لأنهم غير
 مشتغلي الأفكار بتمييز الأشخاص، ومع النظر يتشعب الفكر، ومع انطباق العين
 اجتماع اللب [...] وكان أبو يعقوب الخزيمي يقول: من فضائل العمى ومحاسنه
 ومرافقه اجتماع الرأي والذهن وقوة الكيس والحفظ، وسقوط الواجب من الحقوق،
 والأمان من فضول النظر الداعية إلى الذنوب، وفقد النظر إلى الثقلاء
 والبغضاء»¹⁴.

1.2.4. تحليل:

ليس في شعر ابن عباس (رضي الله عنه) إن صحَّ، تحسين للعمى، ولكنه تهوين
 من شأنه، وتصريح بأن في نور القلب واللسان عوضاً عن نور العينين، وأن البصيرة
 تغني عن البصر، تلويحاً بقول العرب: «إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه»¹⁵، وقول
 زهير بن أبي سلمى [الطويل]¹⁶:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
 فليس على الأعمى من غبن وحزن إن كان مبصر الفؤاد واضح الببان، وهل الإنسان
 إلا بالجنان واللسان. وحجة ناقل الشعر كامنة فيما أوحاه البيتان، أن العمى ليس
 بضائر العمى البتة، مع ما للشعر من قوة يمدّها رافدان، رافد الجمال بموسيقاه
 وقوافيه، التي تستميل القلوب إليه، والجمال حجة. ورافد الصدق؛ إذ كان الشاعر
 بتلك المنزلة العالية عند الناس.

ومن شواهد حجية الجمال خبر الزوجين المحتكمين، فقد روى الراغب الأصفهاني أن
 رجلاً تقدم وامرأته، وكانت حسنة النقيبة، إلى القاضي، فقال: يَعْمدُ أحدكم إلى المرأة
 الكريمة فيتزوجها ثم يسيء إليها. ففطن الرجل لحال القاضي فعمد إلى نقابها فأسفره،

فرأى القاضي وجها قبيحا، فحكم عليها، وقال: قومي لعنك الله كلام مظلوم ووجه ظالم¹⁷. ذلك لأن الغالب على الظلمة ظلمة الوجه، وذميمة الخلق في المؤلف دميم الخلق، قال أبو دلالة [الوافر]¹⁸:

جمعت دمامةً وجمعت لؤماً ... كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

وفي الأثر: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه»¹⁹، فسيما المرء على قسماته بادية. والقارئ لذينة البيت يتوهم أن لا ضير في العمى على جهة الإطلاق، مع أن صاحبهما الصحابي ابن عباس (رضي الله عنه) كان فقيها في الدين، عليم بالتفسير، إذ دعا له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك²⁰، فالعمى في مثله ليس كالعمى فيمن هو دونه؛ فإذا استغنى هو بعلمه فاستأنس به من وحشة الظلام، فإن غيره في ظلمات الجهل والنظر بعضها فوق بعض، وإن كانا كلاهما ذوي ضرر لما فقدا، وما الضرير إلا من الضرر. ويكفي لمعرفة عظم نازلة العمى قول الصادق المصدوق: «يقول الله (عز وجل): من أذهب حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة»²¹.

وقول الجاحظ: (العميان أحفظ وأذكى ومع انطباق العين اجتماع اللب) صادق مشاهد في الكثير لا في الجميع، فليس الحكم على إطلاقه كما ذكر، وهذا نوع إيهام، وهو جعل الكثير كلاً، وقد ساعد عليه السجع والموازنة²²، ففيهما من الجمال ما يستميل الأنفس إلى تصديقه.

والشواهد على أن السجع مما يستعان به في الجدل كثيرة، منها قول عبد الصمد الرقاشي يرد على من عاب عليه إيثاره الأسجاع بقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أسجعا كسجع الكهان»: «لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن، لما كان عليه بأس، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطال حق فتشادق في الكلام»²³.

وقول أبي يعقوب (من فضائل العمى ... وفقد النظر إلى التقلّاء والبغضاء) تعديد لمحاسن العمى، وقد أشار إلى أن ما ذكره قليل من كثير باستعماله (من) التبعيضية، وهذا إيهام بأن ما ترك ذكره أكثر مما ذكر، وليس صحيحا، فإن عادة المحاجج إلقاءه كل ما يعينه على إثبات قوله، وما هذا المقام مقام اجتراء، إنما بعض لإيقاع الوهم. وهذا من أهم أساليب حجاج الإيهام، نعني تكثير محاسن الشيء القبيح وأشباه محاسنه، وتضخيمها بذكرها متتابعةً وعرضها عرضا حسنا وبسطها بسطا جميلا، حتى تبدو كثيرة صحيحة، فتطمسُ القبايح وتغيّر الملامح. ذلك أنك لا تكاد تجد قبيحا إلا وفيه بعض المحاسن اليسيرة التي تخفى لقلتها، والصواب أن ما كان قبحه زائدا على حسنه صدق فيه النعت.

وشبيه بهذا قول متعصبٍ للحمار قائلٍ بفضله: «وكيف لا أحب شيئا أحياء الله بعد موته قبل الحشر!، يعني حمار عُزَيْر»²⁴. والحجة هنا مبنية على مقدمتين أوهم المحاجج أنهما صحيحتان، الأولى: أن العودة إلى الحياة قبل الحشر فضيلة، والأخرى: أن كل الحمير تعود عودة حمار عزير.

ومعظم ما نطق به أبو يعقوب من محاسن العمى صحيح، لكن إغفاله المتعمد لمساوئه وهي الأكثر إيهام بخلوه منها، وفي إتباع الحجة الحجة والإتيان بها تترى إيهام بتغلبها؛ لأن ذلك غير متأتٍ عادةً إلا لما اشتهر صدقه وذاع في العالمين أمره، فلم يحتج ذاكره إلى طويل نظر أو كثير تفكير حتى يسرد أدلته. فإتيانه بتلك المحاسن متتابعة يوهم أن للعمى جميع ذلك، فيقع في القلب الظن بصدقها للوهلة الأولى، وكلما تكاثرت القلائل وتتابعت تمكنت من نفس المحاجج.

3.4. تحسين الاغتراب:

قال الإمام الشافعي (رحمه الله)²⁵ [البسيط]:

ما في المقام لذي عقل وذو أدب ... مِنْ رَاحَةٍ قَدَعَ الْأَوْطَانُ وَاعْتَرَبَ

سافر تجد عوضاً عن تفارقه ... وأنصب فإن لذيذ العيش في النصب
 إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن ساحت طاب وإن لم يجز لم يطب
 والأسد لولا فراق الأرض ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب
 والشمس لو وقفت في الفلك دائماً ... لملها الناس من عجم ومن عرب
 والتبر كالتبر ملقى في أماكنه ... والعود في أرضه نوع من الحطب
 فإن تعرب هذا عز مطلبه ... وإن تعرب ذاك عز كالدَّهَبِ

1.3.4. تحليل:

لم يرد الشافعي إيهام السامعين بحسن الاغتراب وتغريهم بترك الأوطان، فإن في الأسفار منافع خبيثة ومضار، إنما أراد حث ذوي الهمم على طلب المرغوب في أماكنه، وحض أولي العزائم على السعي خلف المأمول حيث كان، كفعله هو، إذ قال²⁶:

سأضرب في طول البلاد وعرضها ... أنال مرادي أو أموت غريباً

فإن تلفت نفسي فله درها ... وإن سلمت كان الرجوع قريباً

وقد احتذى في سبيل ذاك حذو الشعراء من قبله فاحتج احتجاجهم. فليس الإيهام ههنا بمعيّب وما صاحبه بغرور. والملاحظ في تلك القطعة من كلام الإمام أنه أخبر ولم يؤكد، ثم أمر ثلاثاً أمر نُصَح وإرشاد وعلل، ثم طفق بعدئذ يشبه تشبيهات ضمنية خلاصة توقع التصديق في صدور الناس. والتشبيه يُعدُّ من الحجج²⁷ وإن كان كسرَاب بقيعة.

شبه الشافعي الإنسان بالماء والأسد والسهم والشمس والذهب والطيب، وكلها أشياء محببة ومضارب أمثال حسنة، ترادفت وتلاحقت وتراكمت لتتمكن من شُعب النفس، وتتخلل زوايا القلب، وتكسر حصن العقل، فتغرقه في حميا الشبهة والوهم. كل هذا استمالة ظاهرة للسامع، واستدراج مقصود إلى التسليم بحسن الغريات وهجران الديار،

وتأكيد له في نفسه إن كان غير مؤكد عنده²⁸. وقد جيء بهذه التشبيهات الضمنية بعد الخبر كما يؤتى بالبراهين بعد الدعوى، مع ما في هذا النوع من قوة التأثير التي تكاد تملو على سائر أنواع التشبيه؛ ولذلك قال عبد القاهر الجرجاني فيه: «وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر»²⁹.

ووجه احتجاجه هنا أن الاغتراب نفّاع لصاحبه كما نفع تلك المذكورات، وهذا إيهام من وجهين، أحدهما: أن انتقال تلك الأشياء ونقلها وتحركها وتحريكها ليس اغترابا بالمفهوم الحقيقي المعلوم، بل مجازا، والإنسان في هذا ليس كالجماء ولا الجماد البتة، فما لهذين ما للنفس البشرية من إلف المربع وطيرانها شعاعا للقياء، والحنين إلى المغنى وتمزقها اشتياقا لمراه.

والوجه الآخر: مع التسليم بأن الاغتراب حقيقة في المذكورات، فلا يلزم من انتفاعها به انتفاع الإنسان به؛ فإن «إثبات وجود علاقة سببية بين حدثين يستلزم الاطراد الدائم بين نمطي الحدثين إيجابا وسلبا، وعدم وجود أي أمثلة مضادة»³⁰. ولا يُعجز المرء الإتيان بأمثلة مضادة لذلك. وبالجمله فإنّ ترادف التشبيهات أوهم أن حركة المذكورات سفر، وأن السفر علة للانتفاع مؤثّرة.

5. خاتمة:

استعرض البحث نماذج ثلاثة من نصوص التراث العربي على سبيل التمثيل يظهر فيها حجاج الإيهام بوضوح، وبطون الكتب القديمة ملأى بأمثالها، ككتب الجاحظ، وجرى تحليلها بما يكشف أساليب الإيهام فيها، ومن أبرز النتائج المتوصل إليها:

- 1- تجميل الألفاظ وتحسين المعاني، بالسجع والتوازي والأوزان والقوافي، والتشبيه.
- 2- تكثير الحجج القليلة وتعظيمها، والإتيان بها متتابعة متلاحقة، وإغفال ما يضادها.

3- جعل ما ليس بعلة علة، وقياس الشيء بالشيء البعيد.

4- جعل الغالب كلا، والجائز واجبا، وإلحاق الشيء بشبهه وبما يقاربه، في الحكم. والذي نقترحه على الباحثين في ميادين الحجاج اللغوي والمنطقي والتداولية ونحوها أن يولوا وجوههم شطر الدراسات التي تكشف الأساليب المستعملة في حجاج الإيهام، في النصوص القديمة والحديثة الموهمة المموهة، بما يضع قواعد واضحة يُحتكم إليها عند الحاجة إلى تقييم الخطابات السياسية والإعلامي وغيرها، لتمييز الدعايات المغرضة من الأدلة الصادقة.

5. المراجع:

- 1: ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي، ت852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، موافق لترقيم وتبويب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، مع تعليقات العلامة عبد العزيز بن باز اعتنى به: أبو عبد الله محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط1، القاهرة، 1424هـ / 2003م، مج9، ص123.
- 2: ينظر: نفسه.
- 3: نفسه، مج5، ص340.
- 4: ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الوطن للنشر، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية 2000م، ص1678.
- 5: كمال الدين الدميري (أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (ت808هـ)، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1429هـ / 2005م، مج2، ج3، ص14.
- 6: الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت502هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، بيروت، 1420هـ / 1999م، ج1، ص100.
- 7: نفسه، ج2، ص770.
- 8: ينظر: عبد الكريم الأستر، مواقف مختارة من كتب التراث في أدب السفسةطة من كتاب "البلاء" للجاحظ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج83، ج2، ص1.

⁹: الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت255هـ)، رسائل الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج3، ص58.

¹⁰: الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت255هـ)، كتاب الحيوان تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1384هـ/1965م، ج1، ص207.

¹¹: نفسه.

¹²: الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت429هـ)، تحسين القبيح وتقييح الحسن، تحقيق: شاکر العاشور، منشورات الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، العراق تنضيد وطباعة وإخراج: مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ / 1981م، ص37، 38.

¹³: الشيرازي (أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت393هـ)، المعونة في الجدل، تحقيق: علي بن عبد العزيز العميريني، منشورات مركز المخطوطات والتراث، ط1، الكويت، 1407هـ / 1987م، ص35.

¹⁴: الثعالبي، تحسين القبيح وتقييح الحسن، ص47-49.

¹⁵: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج2، ص311.

¹⁶: أبو زيد القرشي (محمد بن أبي الخطاب)، جمهرة أشعار العرب، حققه وضبطه وزاد في شرحه علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص178.

¹⁷: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص252.

¹⁸: الأبيشي (أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور، ت852هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1419هـ / 1998م، ص253.

¹⁹: الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت429هـ)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو الدار العربية للنشر، ط2، 1401هـ/1981م، ص28.

²⁰: ينظر: أحمد بن حنبل (أبو عبد الله ابن هلال بن أسد الشيباني، ت241هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط1، القاهرة، 1416هـ/1995م، ج3، ص95.

²¹: الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر، 1395هـ / 1975م، ج4، ص603.

²²: الموازنة تساوي الفاصلتين في الوزن دون النقفية، ينظر: الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ت739هـ)، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، 1325هـ/1904م، ط1، ص404.

²³: الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت255هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ/2002م، ج1، ص240.

²⁴: الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، ت429هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1424هـ/2003م، ص56.

²⁵: الإمام الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس، ت204هـ)، ديوان الإمام الشافعي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص13، 14.

²⁶: نفسه، ص14.

²⁷: ينظر: حسين بوبلوط، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، مذكرة ماجستير مخطوطة، تخصص لسانيات الخطاب إشراف إسماعيل زردومي، جامعة الحاج لخضر - باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2009م 2010م، ص84.

²⁸: ينظر: هنريش فليت (Heinrich Fleet)، البلاغة والأسلوبية نحو نموذجي سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999م، ص25-26.

²⁹: الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت471 أو 474هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، ط1، جدة، 1991م، ص115.

³⁰: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2007م، ص136.